

شهدت العلاقات بين تركيا و"إسرائيل" خلال السنوات الأخيرة، وبالتحديد منذ العدوان الصهيوني الغاشم على قطاع غزة أواخر عام 2008 حالة من التوتر الشديد على كافة الأصعدة، ويات التحالف الاستراتيجي الوثيق بين البلدين في مهب الريح، خاصة مع تعاظم الدور الاقليمي التركي في ظل حكومة حزب العدالة والتنمية التركي ورئيسه رجب طيب أردوغان، الذي تتهمه تل أبيب بأنه السبب الرئيسي في توتر العلاقات بين البلدين، والتي تعد أقوى علاقات أقامها الكيان الصهيوني منذ إنشائه عام 1948 مع أكبر دولة إسلامية في منطقة الشرق الأوسط.

هذه العلاقات المتوترة بين البلدين سعت تل أبيب كثيراً لإحتوائها بهدف إعادتها لمسارها الطبيعي، لكن حادث الإعتداء الصهيوني على سفينة المساعدات الإنسانية التركية، "ممرمة" لقطاع غزة وقتل عدد من النشطاء الأتراك على متنها إلى جانب حادثة إهانة السفير التركي لدى تل أبيب، ظل حائلاً منيعاً أمام عودة تلك العلاقات، وبخاصة على ضوء إصرار رئيس الوزراء التركي على ضرورة تقديم "إسرائيل" لإعتذار رسمي لتركيا على اعتدائها الوحشي على سفينة "ممرمة". غير أن فشل المساعي الصهيونية لإيجاد بديل لتركيا في منطقة حوض البحر المتوسط، سواء من خلال توجيهها إلى اليونان أو لعدد من دول البلقان، أجبر قادة الكيان الصهيوني على الخضوع والعودة لاسترضاء تركيا مرة أخرى لتصفية الأجواء معها لاسيما بعد وصول العلاقات بين البلدين لأدنى مستوى لها. كما اعتبر الكيان الصهيوني إندلاع موجة ثورات الربيع العربي، خاصة في سوريا، فرصة ذهبية لعودة العلاقات بين البلدين، بزعم أن ما يحدث في سوريا حالياً له انعكاس مباشر على تركيا و"إسرائيل"، وهذا ما تناوله زاكي شالوم الخبير الاستراتيجي والمحاضر بمعهد بن جوريون للدراسات "الإسرائيلية" في دراسته التي نشرها بمجلة "مفترق الشرق الأوسط" - إحدى إصدارات مركز موشيه ديان لأبحاث الشرق الأوسط وأفريقيا- والتي حملت عنوان (هل من الممكن ترميم التحالف الاستراتيجي بين "إسرائيل" و تركيا؟).

توتر في العلاقات

استهل الخبير "الإسرائيلي" دراسته بالإشارة إلى إن لدى "إسرائيل" كثير من الأسباب والمبررات التي تجعلها تشعر بالغضب من تركيا على الرغم مما تمثله من أهمية استراتيجية لتل أبيب، نظراً للعلاقات المتشعبة بين البلدين في العديد من المجالات على رأسها المجالات الأمنية والاقتصادية، لكن توجهات وسياسة رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان في الآونة الأخيرة تجاه "إسرائيل" تسببت في إيجاد شروخ عميقة في جدار الآمال "الإسرائيلية" تجاه تركيا. في المقابل أكد شالوم إنه كان هناك أيضاً لدى تركيا الكثير من الأسباب التي تجعلها هي الأخرى تشعر بالغضب من "إسرائيل" أبرزها توريط تل أبيب لها في مسألة الوساطة بينها وبين سوريا على الرغم من إدراك القيادة "الإسرائيلية" إنه لا سبيل للتوصل لتفاهات مع سوريا بشأن الانسحاب من هضبة الجولان وإخلاء المغتصبات الموجودة هناك، والانسحاب إلى حدود ما قبل عام 1967

وتابع شالوم دراسته بالقول "بطبيعة الحال انتهت الوساطة التركية دونما أن تسفر عن شيء وكان مصيرها الفشل كما كان متوقع ولم يجلب ذلك سوى شعور القيادة التركية بالمهانة، وهو ما أسهم بدون أدنى شك في خلق توتراً بين تركيا و"إسرائيل" ومنذ ذلك الوقت حدث تراجع في مستوي العلاقات بين البلدين، خاصة بعد العدوان "الإسرائيلي" على قطاع غزة.

ويرى الخبير "الإسرائيلي" أن تداعيات تدهور العلاقات بين تركيا و"إسرائيل" جعل أنقرة من جانبها تبحث لها عن حلفاء استراتيجيين جدد وهو الأمر الذي يفسر معه التقارب الاستراتيجي الذي طرأ على العلاقات بينها وبين طهران، معتبراً أن التحالف بين أنقرة وطهران سيسهم في تقليل الفرص المتاحة أمام "إسرائيل" للقضاء على برنامج إيران النووي، وكذلك محاربة الجماعات الإقليمية في المنطقة وعلى رأسها حزب الله اللبناني وحركة حماس الفلسطينية، وذلك على أثر تراجع تركيا عن حماية المصالح الاستراتيجية "الإسرائيلية" والتشاور معها بشأن أي من العوائق التي تعترض سبيل هذه المصالح .

الورقة السورية

وعن إمكانية استغلال الكيان الصهيوني للورقة السورية وما تشهده سوريا من أحداث قد تسفر عن إسقاط نظام بشار الأسد، تناول الخبير "الإسرائيلي" في سياق دراسته التراجع الملحوظ الذي شهدته العلاقات التركية - السورية على ضوء ما تلك الأحداث وقيام جموع الشعب السوري بالخروج ضد النظام الرئيس بشار الأسد والمواجهة الساخنة بين قوات الجيش والمتظاهرين وهو الأمر الذي تبعه قيام الآلاف من المواطنين السوريين بالفرار إلى الحدود التركية هرباً من جحيم الجيش السوري. مضيفاً أن تركيا تدرس الآن إمكانية القيام ببعض الخطوات العسكرية على الحدود مع سوريا وتدرس إمكانية قيام قواتها بالتوغل داخل الأراضي السورية وإيجاد منطقة آمنة يمكن تجميع الفارين من جحيم الجيش السوري فيها ، مشككاً في الوقت ذاته من الدوافع التركية للوقوف إلى جوار الشعب السوري ضد نظام بشار الأسد ، متسائلاً هل هذا الموقف التركي الهدف منه الدفاع عن مصالح أنقرة أم أن هناك أبعاد أخرى قد تصل مداها إلي المساهمة في إيجاد نظام حكم بديل عن نظام بشار الأسد .؟

وزعم الخبير الاستراتيجي "الإسرائيلي" إنه من الممكن أن يصبح ما يحدث في سوريا الآن بمثابة بداية حقيقية لإيجاد قاعدة مشتركة من التعاون الاستراتيجي المشترك مرة أخرى بين "إسرائيل" وتركيا، وهو التعاون الذي يمكن على إثره إعادة بناء التحالف الاستراتيجي من جديد بين البلدين، مشيراً إلى أن هذا التعاون بات ملحاً وضرورياً في تلك المرحلة لمواجهة أي تداعيات سلبية في المنطقة قد يسفر عنها عدم الاستقرار في سوريا مستقبلاً.

سقوط الأسد

وعن أسباب إصرار تل أبيب على عودة العلاقات مع أنقرة في التوقيت الحالي والتمسك بتلابيب تلك الفرصة لاسترضاء تركيا بأي شكل من الأشكال، أوضح الخبير الصهيوني في دراسته المهمة أن "إسرائيل" ترى أن تعاضد قوة تركيا على حساب ضعف النظام السوري أمر سيكون له تداعيات إقليمية بعيدة المدى ، مشيراً إلى أن سوريا تعتبر بمثابة دولة محورية في منطقة الشرق الأوسط وتعتمد عليها طهران فيما تتبناه من مواقف في المنطقة وهو ما يعني أن ضعف نظام حزب البعث الحاكم في سوريا لعقود طويلة وإسقاطه سيؤدي بالتبعية إلى إضعاف إيران وحلفائها في المنطقة وعلى رأسهم حزب الله الشيعي في لبنان. كما أن إسقاط الأسد سيسهم في تدعيم الموقف "الإسرائيلي" في أية مفاوضات جديدة تجرى مع دمشق حول مستقبل هضبة الجولان المحتلة.

صفحة جديدة

وخلص الخبير الصهيوني في ختام دراسته إلى نتيجة مفادها أنه ينبغي على قادة "إسرائيل" وتركيا وضع المشاكل بينهما وراء ظهرهما وفتح صفحة جديدة والتفكير فيما يحدث الآن وأن يشرعوا فوراً في البحث عن سبل استئناف التعاون الاستراتيجي بينهما، على ضوء تنامي الثورات العربية المحيطة بهما في منطقة الشرق الأوسط والتي قد تمثل خطراً كبيراً على كليهما . وقال أنه من الممكن أن تسفر جهود المصالحة بينهما عن شيء مثمر إذا ما كان هناك محاولة للتدخل من قبل الإدارة الأمريكية وهو الأمر الذي من شأنه أن يؤدي إلي انفراجه في العلاقات بين الطرفين.

وفي هذا السياق نشير في الختام إلى ما ذكرته صحيفة " نيويورك تايمز" الأمريكية بأن الشرارة التي أطلقتها الثورات الشعبية بالعالم العربي، والأوضاع المتغيرة المترتبة على تلك الثورات، قد أسفرت عن تغيير في الحسابات " الجيو سياسية " لكل من تركيا و"إسرائيل" ، مشيرة إلى أن التغيير الذي أحدثته الثورة المصرية أدى إلى نوع من الفتور في العلاقات المصرية - "الإسرائيلية" ، وهو الأمر نفسه الذي ينطبق على العلاقات بين تركيا وكل من سوريا وليبيا والتي باتت تشهد نوعاً من الجمود على خلفية مواقف تركيا من الثورة في البلدين، الأمر الذي دفع كلا من "إسرائيل" وتركيا للبحث عن حلفاء جدد وإدراك انه لا بد من المضي قدماً نحو التوصل إلى حل للأزمة الدبلوماسية بينهما. وحسب الصحيفة الأمريكية فقد أدركت تركيا أنها على وشك أن تخسر البديل الذي اختارته على حساب علاقتها بالغرب، أي محور سوريا وإيران، وهذا ما دفع أردوغان إلى إعادة النظر في علاقته بـ"إسرائيل".

كاتب المقالة : د. سامح عباس
تاريخ النشر : 14/08/2011
من موقع : موقع الشيخ الدكتور/ محمد فرج الأصفر
رابط الموقع : www.mohammdfarag.com